الباب الثامن عشر

في وأد البنات

لقد جاء الإسلام والناس في فوضى، لا قانون لهم ، ولا شريعة أو ضوابط تضبط سلوكهم وتصرفاتهم، فكانت شريعة الغاب،هي المحكمة،وهي السائدة والبقاء للأقوى والأصلح، وقد ابتلي بعض قبائل العرب بقتل أولادهم من أجل ما فيه من الفقر، أو خشية الفقر.

ولما نزل القرآن الكريم ، على سيد الأولين والآخرين ، بلسان عربي مبين، إذ نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام، ذكر من تلك العادات السيئة، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]. وقال أيضا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٣١].

النار ولا العار:

لقد كان لبعض العرب في الجاهلية، عادة وأد الأولاد، خوف الفقر، ووأد البنات خوف العار، ويقولون: النار ولا العار، وقد ذكر المبرد في كتابه الكامل: عن أبي عبيدة: أن قبيلة تميم منعت النعمان بن المنذر الإتاوة، التي كانت تدفعها إليه، فوجه النعمان بن المنذر إليهم أخاه الريان بن المنذر فحاربهم، فظفرعليهم، فاستاق النعم وسبى النساء والذراري.

فوفدت إليه بنو تميم ، فأنابوا وأذعنوا وسألوه النساء أي أن يرد إليهم النساء التي سباها أخوه الريان، فقال النعمان بن المنذر: كل امرأة اختارت أباها ردت إليه، وإن اختارت صاحبها أي الذي صارت وآلت إليه بالسبي تركت له، فكلهن اختارت أباها إلا ابنة لقيس بن عاصم بن سنان بن المنقري السعدي التميمي اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج.

موقف سيد تميم من وأد البنات:

فنذر قيس بن عاصم أن لا تولد له ابنة إلا قتلها، فهذا شيء يعتل به من وأدوا بناتهم، يقولون: فعلناه أنفة، وقد أكذبهم الله تعالى في كتابه العزيز، حيث قال

سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٠].

وقيس بن عاصم بن سنان التميمي هذا يعدُّ أحد أمراء العرب، وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، وكان من الشعراء الفرسان الذين سادوا في الجاهلية والإسلام، وهو ممن حرم على نفسه شرب الخمر.

وفد على النبي ﷺ في وفد تميم في العام التاسع الهجري، فأسلم وحسن إسلامه ، ولما رآه النبي ﷺ قال: هذا سيد أهل الوبر، وأهل الوبر هم أهل البادية ، أهل الإبل الذين لهم شأن عظيم في قومه وغير قومه.

قيس يخبر الرسول بِوَءْدِه إحدى بناته:

ويحكى أن قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي، حين وفد على رسول الله ﷺ، سأله بعض الأنصار عما يتحدث به الناس عنه من الموؤودات، اللائي وأدهن من بناته.

فأخبر : أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها، ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه، فقال قيس: كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها،وما رحمت منهن موؤودة قط إلا ابنة لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعتها أمها إلى أخوالها، فكانت فيهم، وذلك خوفاً عليها من الوأد.

وقدمت من السفر، فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً، ومضت سنون على ذلك، حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها، أي نسجت بعضه على بعض، وجعلت في قرونه شيئاً من خلق، أي جعلت له شيئاً من الطيب، ونظمت عليها ودعاً وألبستها قلادة جزع ، وجعلت في عنقها مخنقة بلح.

فقلت: من هذه الصبية؟ فقد أعجبتني، أعجبني جمالها وكيسها أي عقلها، فبكت المرأة وقالت: هذه ابنتك ، كنت أخبرتك أني ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ،فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها أمها ،فأخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة، فجعلتها فيها وهي تقول :

قيس يَئِد ابنته:

يا أبتِ ما تصنع بي؟، أمغطيَّ أنت بالتراب؟ أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟ وجعلت أقذف عليها التراب، وهي تبكي وتتضرع إليّ، وأنا أقذف التراب عليها حتى واريتها، وانقطع صوتها وبكاؤها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي ﷺ، ثم قال: «**إن هذه لقسوة، ومن لا يرحم لا يرحم**».

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير: ٨-٩].

ويروى أن قيس بن عاصم، دخل على رسول الله ﷺ وفي حجره بعض بناته يشمها، فقال له: ما هذه السخلة تشمها؟ فقال رسول الله ﷺ: هذه ابنتي، فقال قيس: والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكر قط. فقال رسول الله ﷺ: «**فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك**».

ويروى أن قيس بن عاصم قال: أتيت رسول الله ﷺ، فرحب بي وأدناني، فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون عليَّ فيه تبعة ما ترى في إمساكه لضيف إن طرقني، وعيال إن كثروا عليّ؟.